

الدكتور إبراهيم السامرائي - وداعاً -

نبذة عن العلامة الفقيه

بقلم د. علي القاسمي (*)

في الوقت الذي كانت فيه المجلة تنهياً لإصدار عدد من أعدادها الأخيرة وصل نعي الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، العالم اللغوي الجليل الذي طالما أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته وأبحاثه وتحقيقاته... ونحن بهذه المناسبة ووفاء لذكرى الرجل الذي كان، في حياته في الستينات على اتصال وثيق بالمجلة منذ بداية صدورها، أردنا أن نسترجع شيئاً من هذه الذكرى، من خلال كلمة وداع أعدها د. علي القاسمي، انطلاقاً من السيرة الذاتية التي حصل عليها من مجمع الأردن بالمناسبة نضعها بين يدي آخر بحث أهده الفقيه بيده للدكتور عباس الصوري أثناء انعقاد المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (مارس / آذار 2001).

تغمده الله الفقيه في رحمته وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولد اللغوي المعجمي الباحث المحقق المترجم الشاعر، إبراهيم بن أحمد الراشد (الشهير بالدكتور إبراهيم السامرائي)، عام 1923م (سنة 1341 أو 1342 هـ)^(*)، في مدينة العمارة وهي حاضرة جنوبي العراق بين بغداد والبصرة، وقد نزح جدّه إليها من مدينة سامراء، الواقعة شمالي بغداد.

توفيت والدته وهو صغير، فكفلته خالته، وتوفي أبوه بعد ذلك في البصرة غريباً، فكانت طفولته " غير مريحة" كما يقول عنها. وبعد أن حفظ القرآن الكريم في (الكتاب)، أكمل المدرستين الابتدائية والمتوسطة في العمارة، ثم أكمل المدرسة الثانوية في البصرة، إذ لم يكن في العمارة مدرسة ثانوية آنذاك.

ثم قدّم إلى بغداد ودخل دار المعلمين الابتدائية. وبعد تخرّجه منها، صار معلماً في المدارس الابتدائية. ثم دخل دار المعلمين العالية (كلية التربية بجامعة بغداد لاحقاً)، وكان من أساتذته فيها الدكتور مصطفى جواد (اللغة العربية)، والدكتور

(*) يشكر المؤلف رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الذي تفضل بتزويده بنبذة من السيرة العلمية للدكتور إبراهيم العضو بالمجمع.

(**) أرخ الدكتور السامرائي لميلاده بالعام الميلادي 1923 الذي تقابله الستتان الهجريتان 1341 و1342. ولم تتمكن من تحديد السنة المعنية.

محمد مهدي البصير (الأدب العربي) ، والدكتور عبد العزيز الدوري (التاريخ الإسلامي)، والدكتور مكي عقراوي (التربية). وتخرج منها وكان الأول في دفعته بقسم اللغة العربية. ثم عين مُدرسا لمادة اللغة العربية في كلية الملك فيصل ببغداد، وهي مدرسة ثانوية نموذجية تُدرّس بقية المواد فيها باللغة الإنكليزية.

انضم إلى البعثة العراقية للدراسة في جامعة السوربون بباريس سنة 1949م، وبقي أكثر من سبع سنين هناك. ودرس فيها عددا من اللغات السامية كالعبرانية، والآرامية، والحبشية، والبابلية الآشورية والسبئية، من أجل الوقوف على التطور اللغوي التاريخي. وكان من أساتذته ريجيس بلاشير، ولويس ماسنيون، وليفي بروفنسال، وشارل بلا، وجان كانتنو. وحصل على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون بدرجة الشرف الأولى. وكان من زملائه في السوربون ثلاثة من العراقيين الذين كانوا يدرسون الأدب العربي وهم، الشاعرة الدكتورة عاتكة وهي الخزرجي، والدكتور صلاح خالص، والدكتور علي الزبيدي. ومن زملائه المصريين، اللغوي الدكتور حسن ظاظا. ومن زملائه الأردنيين، الدكتور عبد الكريم خليفة الذي كان زميله كذلك في دار المعلمين العالية ببغداد والذي تولى رئاسة مجمع اللغة العربية الأردني فيما بعد.

عاد إلى بغداد عام 1956 م وعيّن مدرسا في كلية الآداب والعلوم. وخلال وجوده في تلك الكلية، أوفد للتدريس في جامعات عربية، كجامعات لبنان، وبنغازي، والجزائر، والرباط، والسودان، والكويت. وحاضر عدة مرات في "معهد البحوث والدراسات العربية العليا" التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة بين سنة 1962 وسنة 1972. وقد صدرت محاضراته تلك في أربعة كتب هي: " التوزيع اللغوي الجغرافي" و " التطور اللغوي التاريخي" و " تنمية العربية في عصرنا" و " الأب أنستاس ماري الكرملي". وقد نبغ كثير من طلاب الدكتور السامرائي في درس اللغوي في عدد من الأقطار العربية، نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور أحمد مطلوب، الأمين العام للمجمع العلمي العراقي.

وبعد تقاعد الدكتور السامرائي في العراق عام 1980م، ذهب إلى عمّان ودرّس في الجامعة الأردنية إلى سنة 1987م، ثم ذهب إلى اليمن ودرّس في جامعة صنعاء، وعاد إلى عمّان سنة 1996، وتوفي فيها في فاتح صفر 1422هـ / 25 أبريل/نيسان 2001م.

وكان عند وفاته عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ومجمع اللغة العربية الأردني، ومجمع اللغة العربية في دمشق، والمجمع العلمي الهندي، والجمعية اللغوية الفرنسية.

وقد كتب سيرته الذاتية عام 1995 م في كتاب عنوانه " حديث السنين ".

كان الدكتور إبراهيم السامرائي غزير الإنتاج العلمي؛ تناهز أعماله مائة كتاب، تتوزع بين التأليف والتحقيق والترجمة. ولعل كتابه " الفعل زمانه وأبنيته" و كتابه " التطور اللغوي التاريخي " من أهم مؤلفاته، كما يعدّ كتاب " العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي حققه بالاشتراك مع الدكتور مهدي المخزومي، وديوان محمد مهدي الجواهري الذي حققه وشرحه بالاشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور مهدي المخزومي ورشيد بكتاش، من أهم الكتب التي حققها.

وفيما يلي قائمة بمؤلفاته وتحقيقاته وترجماته، التي طُبِعَ بعضها عدّة طبعات:

(أ) المؤلفات:

- | | |
|--|--|
| 1- تنمية اللغة العربية في العصر الحديث | 30- مقدمة في تاريخ العربية |
| 2- العربية تواجه العصر | 31- دراسات في تراث أبي العلاء المعري |
| 3- الفعل زمانه وأبنته | 32- في مجلس أبي الطيب المتنبي |
| 4- في شرف العربية | 33- في الأمثال العربية |
| 5- في شعاب العربية | 34- لغة الشعر بين جيلين |
| 6- المدارس النحوية أسطورة وواقع | 35- الأعلام العربية |
| 7- من أساليب القرآن | 36- إعلام الورى فيما نسب إلى سامرا |
| 8- من بديع لغة التنزيل | 37- التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية |
| 9- من سعة العربية | 38- المجموع اللفيف، معجم في الموارد اللغوية والتاريخية |
| 10- من وحي القرآن | 39- معجم الفرائد |
| 11- النحو العربي في مواجهة العصر | 40- معجميات |
| 12- النحو العربي نقد وبناء | 41- من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني |
| 13- الأب أنستاس ماري الكرملّي وآراؤه اللغوية | 42- من معجم الجاحظ |
| 14- التطور اللغوي التاريخي | 43- من معجم المتنبي |
| 15- التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق | 44- من معجم عبد الله بن المقفع |
| 16- دراسات في اللغة | 45- من حديث أبي الندى (أحاديث وحوار في الأدب
واللغة والفن والتاريخ) |
| 17- رسائل في اللغة | 46- لفيف وأشتات (أحاديث وحوار في الأدب واللغة
والفن والتاريخ) |
| 18- السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب | 47- نصوص ودراسات عربية وإفريقية في اللغة والتاريخ
والأدب |
| 19- العربية بين أمسها وحاضرها | 48- قطوف ونوادر |
| 20- الفارابي وعلم اللغة | 49- في المصطلح الإسلامي |
| 21- في لغة الشعر | 50- في المعجمات العربية القديمة |
| 22- مباحث لغوية | 51- في الصناعة المعجمية |
| 23- مع المصادر في اللغة والأدب | 52- حديث السنين — سيرة ذاتية |
| 24- مع المعري اللغوي | 53- رحلة في المعجم التاريخي |
| 25- دراسات في اللغتين السريانية والعربية | 54- الدخيل في الفارسية والعربية والتركية |
| 26- العربية تاريخ وتطور | 55- المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام |
| 27- فقه اللغة المقارن | 56- ديوان شعر |
| 28- في تاريخ العربية | |
| 29- اللغة والحضارة | |

(ب) التحققات:

- 1-سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس
- 2-الكتاب لابن درستويه
- 3-في التعريب والمغرب (وهو المعروف بمحاشية ابن بري على كتاب المغرب)
- 4-السرج واللحام لابن دريد
- 5-مجمام فسيح الكلام لابن فارس
- 6-في التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني
- 7-المسائل والأجوبة (مسألة رب) للبطلبيوسي
- 8-التعريف بآداب التأليف للسيوطي
- 9-يفعول للصغاني
- 10-المتشابه للنعالي
- 11-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي بالاشتراك مع الدكتور مهدي المخزومي
- 12-المُرصَع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأدواء والذوات لابن الأثير
- 13-نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري
- 14-الزهرة للأصفهاني
- 15-الزهرة للظاهري
- 16-هامة الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي بالاشتراك مع الدكتور محمد بركات أبو علي
- 17-رسالتان في اللغة (منازل الحروف — الحدود)
- 18-ديوان ابن الفارض
- 19- ديوان أبي فراس الحمداني
- 20-ديوان الجواهري بالاشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر ومهدي المخزومي ورشيد بكتاش
- 21-شعر عروة بن حزام بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب.
- 22-ديوان القطامي بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب
- 23-ديوان قيس بن الخطيم بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب
- 24-كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني
- 25-شعر الأحوص
- 26-كشف النقاب عن الأسماء والألقاب لابن الجوزي
- 27-بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية لأحمد بن موسى بن طاووس
- 28-رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت بالاشتراك مع عبد الله محمد الحبشي
- 29-فلك القاموس لعبد القادر الحسيني
- 30-الجال والأكمنة والمياه للزنجشري
- 31-الشماريخ في علم التاريخ
- 32-من كتاب ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح لأحمد بن محمد جراب الدولة

(ج) الترجمات:

- 1-التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابي للويس جارديه
- 2-خطط البصرة وبغداد للويس ماسينيون
- 3-محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام لغويدي
- 4- من دراسات المستشرقين (مباحث تاريخية)

(د) آراؤه اللغوية:

يعدّ الدكتور إبراهيم السامرائي من كبار اللغويين العرب في القرن الميلادي العشرين. وقد أبدى رأيه في معظم قضايا اللغة كإصلاح النحو العربي ، وأولى اهتماما خاصا لمسألتين إحداهما التطور اللغوي التاريخي، والأخرى تنمية اللغة العربية. ونظراً لممارسته البحث والكتابة مدة طويلة تناهز نصف قرن، فإن بعض آرائه عرف شيئا من التغيير. ومن الأمثلة على ذلك رأيه في نقاء اللغة. فعلى الرغم من تفضيله المنهج الوصفي على المنهج المعياري في الدرس اللغوي، فإنه كان أحيانا يميل إلى استهجان الاستعمالات والتعبيرات اللغوية الجديدة، ويقول بخطأ ما خرج عن بناء الكلمة وتجاوز حدّ المألوف من تركيب الجمل. ومن أمثلة ذلك أنه كان يعيب استعمال كلمة "قاموس" بمعنى "معجم" ويرى أن الصواب هو استعمال كلمة "معجم" فقط للتمييز بين كتاب الفيروزآبادي المشهور بالقاموس والمؤلفات المعجمية الأخرى. وكذلك قوله في تقديمه لكتابه "حديث السنين" : "وإني لأرفض مصطلح "السيرة الذاتية"... لأنه ترجمة لما هو Autobiographie..".

ولكن يبدو أنه أخذ، في آخر حياته، بقبول الاستعمالات اللغوية الجديدة، فقد صرّح في مقال له نُشر بعيد وفاته بعنوان "في الصحافة الإقليمية" قائلا: " لقد كان لي أن سمعت من هذا (الجديد) قول بعض هؤلاء في موعظة دينية: " لقد كان ذلك الأمر الرقم الفريد في المعادلة الصعبة"، وقول آخر: " إن القواسم المشتركة بين الآراء في الأمر هي كذا وكذا...". أقول ليس لي أن أبعده هذه الصيغ من هذه اللغة الجديدة، فشيوعها ودورها في مختلف السياقات والظروف يعطيها القوة. ومن هنا ليس لي إلا أن أثبت مادة الجديد التي باتت كثيرة وتكثر كل يوم." (مجلة الفيصل، ع 306 ص 27)

ومن آراء الدكتور السامرائي " أن اللغة لا يعرفها معرفة وافية، تلك المعرفة التي تمس عقل المرء وقلبه، غير أبنائها، والآخرين الذين عرفوا البيئة اللغوية من غير أبنائها، بخلاطهم ومعايشتهم لأهل اللغة." (السامرائي، حديث السنين: 165)

مصادر الدراسة :

- خلاصة سيرته وقائمة مؤلفاته، بخط يده ، محفوظة في ملفه في مجمع اللغة العربية الأردني.
- إبراهيم السامرائي، حديث السنين، سيرة ذاتية (عمان: دار عمّار، 1998/1418).
- مؤلفاته ومقالاته المنشورة .